

وما سواها (217)



sadigalsamarrai@gmail.com

على هامش الإجرام!! (1)

د. صادق السامرائي - الطب النفسي، العراق / أمريكا

إجرام مصدر أجرَمَ : إقتراف إثم أو ذنب أو جريمة , إرتكب جُرماً.

علم الإجرام: علم البحث في أسباب إقتراف الجريمة وطبيعتها.

العالم المعاصر بإعلامه ووسائل تواصله الأنية السبّاقة لسرعة الضوء , يواجهنا بمشاهد ووقائع إجرامية تتفاعل في أروقة المجتمعات البشرية , حتى لنحسب أن الجريمة وباء العصر وطاعونه المبيد , ولا ندري إن كانت أقل أم أكثر في العصور الماضية , لضعف آليات التواصل مقارنة بما هي عليه اليوم , حيث الأرض تتصاغر وتتكاثر على شاشة بحجم كف اليد.

فمصادر التواصل الإعلامي والبشري تطالعنا بأحاديث لا تنقطع عن الجرائم , وكأن البشر لا عمل لديه سوى أن يرتكب جريمة , وفي بعض المجتمعات صار القتل العشوائي من الجرائم المتكررة , التي يصبح مرتكبها مشهوراً ويدخل كتب الإجرام , وتطير صورته في آفاق الدنيا.

ولا بد من تقييم موضوعي لهذا السلوك المرافق للبشر منذ الأزل , وما إختلف إلا بالوسائل لتوفر الأدوات المتنوعة لتنفيذ الجريمة , فالكثير من القوى تسخر السلوك الإجرامي للنيل من الآخر بإقرانه بفئة أو بعقيدة أو حزب ودين , وتتأى في دراستها للجريمة عن الأسباب الحقيقية والظروف المؤدية لإرتكابها.

وهذه بعض الأضواء النفسية والفكرية على الجريمة والإجرام.

أولاً: الجريمة والسؤال!!

الجرائم البشعة تتكرر وأدواتها تتطور والأبرياء يتطوحون في ميادينها كالمطر , والدنيا تجتهد في البحث عن الدافع , وما أن تتوصل إليه حتى ينتهي دورها وكأنها حلت المشكلة.

وتعيد الجرائم سلوكها الخطير والبشر يتساقط بلا ذنب , إلا لأنه كان في مكان وقت قرر فيه مجرم ما القيام بفعلة البشعة المعفرة بالدماء والصراخ والأنين.

بشر متوحش خلع باءه وعبر عن أقصى شروره وسوء ما فيه , والعالم لا يفعل شيئاً سوى البحث عن الدافع , وكأن الجريمة أصبحت سلوكاً مقبولاً وعادياً لا يستدعي الحيطة والحذر , وإتخاذ

علم الإجرام: علم البحث في أسباب إقتراف الجريمة وطبيعتها

حتى لنحسب أن الجريمة وباء العصر وطاعونه المبيد , ولا ندري إن كانت أقل أم أكثر في العصور الماضية , لضعف آليات التواصل مقارنة بما هي عليه اليوم

لا بد من تقييم موضوعي لهذا السلوك المرافق للبشر منذ الأزل , وما إختلف إلا بالوسائل لتوفر الأدوات المتنوعة لتنفيذ الجريمة

العالم لا يفعل شيئاً سوى البحث عن الدافع , وكأن الجريمة أصبحت سلوكاً مقبولاً وعادياً لا يستدعي الحيطة والحذر

الإجراءات اللازمة لقمعها ومنعها وحماية المواطنين من هؤلاء العدوانيين الشرسين.

والأنكى أن العالم المتحضر لا يجرؤ على منع حمل السلاح الأوتوماتيكي الخطير الذي يردي العشرات بل المئات في لحظات , فبضغطة زناد تنطلق مئات الرصاصات المتناثرات القاتلات المدمرات للبدن والمرديات للحى في الحال أينما أصابته , فالعقل البشري العدوانى قد أبدع أفضع أنواع الرصاص الذي يميّت في الحال.

جرائم تعقبها جرائم , والأخبار تزدهم بنقل أنباء الجرائم المروعة , ولا شىء سوى الحزن والأسى والصلوات والعتب على الواقع لا أكثر ولا أقل.

فأى عالم هذا الذي نعيش فيه , وأي زمن هذا الزمن المعفر بالشرور والكرهية والبغضاء.

وأى بشر هذا الذي لا يجرؤ على إتخاذ قرار لمنع الجريمة , وكأن الحرية أن تقتل الآخرين ولا عقاب تنال بل المهم الدافع.

والأهم من ذلك كله أن الفاعل مجنون وأنه غير مسؤول وتكرر الجرائم , والمجرم يتنعم بأفضل ما يمكنه أن يناله من حقوق الحياة , والأبرياء الذين حصدهم قد ذهبوا مع الريح وقد حزنا عليهم ودعونا لهم , والمجرم طليق وضحاياه يأكلهم التراب , هذا عالم حر تزهو في ربوعه ديمقراطية بلا رادع قصيم!!

ثانياً: إنها جريمة وحسب!!

الجريمة جريمة ومعروفة منذ الأزل , لكن أن تُصنف على أنها غير ذلك , فهذا إتجاه جديد يمنحها معاني وأبعاد أخرى لا تستحقها , أي أن الجريمة تتحرر من إثمها وتنبأ مما تقوم به من الفظائع وتصبح ذات قيمة سامية وأهداف نبيلة ووسيلة للوصول إلى تجسيد المعاني الفاضلة , وهذا السلوك من أكبر الجرائم بحق القيم والأعراف والروح الإنسانية.

إن العدوان على الأبرياء هو جرائم ضد الإنسانية , وعلى المجتمع الدولي أن يقف إزاءه موقفاً واضحاً بعيداً عن السياسة والدين والمعتقد والأعراف , فالجرائم جرائم ولا يمكن إقرانها بأي شىء آخر سوى الإجرام , ولكي تقضي على الجريمة يجب أن تصفها بما هي عليه لا بما تريد أن توصف به وتظهر عليه.

إن تسييس الجرائم وتدينها من أخطر السلوكيات التي تقوم بها البشرية في عصرنا المعلوماتي التواصلي السريع المزدهم بوسائل الإعلام المغرضة.

فما علاقة الجريمة بالدين؟

ولماذا يتم إقران الدين بالجريمة؟

ولماذا نميل إلى التسطح والإختزال والتبسيط والتضليل والإستثمار بسفك الدماء؟

هولاكو قام بسلوك إجرامي ضد القيم والمبادئ الإنسانية وهو صاحب دين , فلماذا لم يُربط بين

دينه وجرائمه؟

أبى عالم هذا الذي نعيش فيه , وأي زمن هذا الزمن المعفر بالشرور والكرهية والبغضاء

المجرم يتنعم بأفضل ما يمكنه أن يناله من حقوق الحياة , والأبرياء الذين حصدهم قد ذهبوا مع الريح وقد حزنا عليهم ودعونا لهم

إن العدوان على الأبرياء هو جرائم ضد الإنسانية , وعلى المجتمع الدولي أن يقف إزاءه موقفاً واضحاً بعيداً عن السياسة والدين والمعتقد والأعراف

إن تسييس الجرائم وتدينها من أخطر السلوكيات التي تقوم بها البشرية في عصرنا المعلوماتي التواصلي السريع المزدهم بوسائل الإعلام المغرضة

إن تبرأة المجرمين من جرائمهم وإلصاقها بالأبرياء , إنما هو سلوك إجرامي خطير يساهم في تدمير الواقع الإنساني وتحطيم القيم والمعايير

الدين العمل , ولا يوجد دين يدين بالإجرام وإنتهاك

والعديد من الآخرين - حتى في القرن العشرين - قد ارتكبوا جرائم ضد الإنسانية في أوروبا وآسيا وأفريقيا ولم تقرر جرائمهم الخطيرة البشعة بأديانهم , فلماذا تقرر جرائم المجرمين المعاصرين بدين واحد لا سواه!؟

إن الإجرام إجرام ولا يمكن إخراجه من خانته ووضعه في خانة أخرى , وتحويله إلى توصيفات يتم تعميمها على الأبرياء والطييبين من أبناء الدين أجمعين.

إن تبرأة المجرمين من جرائمهم وإصاقها بالأبرياء , إنما هو سلوك إجرامي خطير يساهم في تدمير الواقع الإنساني وتحطيم القيم والمعايير , وتحويلها إلى عناصر لتعزيز القيام بجرائم ضد الإنسانية ذات فظائع أكبر مما يقوم به المجرمون الآثمون أنفسهم.

وكأن المجرمين يُشجَّعون على ارتكاب جرائمهم بتوفير المبررات الكفيلة بالقيام بجرائم أفظع من جرائمهم , وفقا لتوجهات الأرض المحروقة والقصف العدوانى المطق , الذي يببئ الأبرياء بجريمة المجرمين المسخرين لتنفيذ مشاريع الآخرين , على أنها سلوكيات ذات دين , وما دينها إلا الإحرام , فالدين العمل , ولا يوجد دين يدين بالإجرام وإنتهاك الحرمات وسفك الدماء وسبي العباد وتخريب البلاد.

فلا بد من مؤازرة الروح الطيبة الرحيمة في الدين , والتعامل مع المجرمين وفقا لما تقرره الأعراف والتقاليد , والقوانين الفاعلة في الحياة ومنذ عصور ما قبل التاريخ وحتى اليوم.

وليقص كل حريص على القيم الإنسانية من المجرمين , وأن نعمل سوية على محاربة الجريمة وتخفيف روافدها , ومنح الإنسان أمل بتحسين علاقته بالحياة الأرقى والأحسن , لكي يحرص عليها ويتعلم مهارات صناعتها فيكون معها لا عليها.

ثالثا: الجريمة دينها الإجرام!!

لا توجد جريمة بلا دين , فكل جريمة تؤمن وتعتقد وتدين بالإجرام , ولا دين عندها إلا الإجرام , ولا يمكن ربط الجريمة بدين غير الإجرام.

الجريمة مهما كان نوعها وطبيعتها ونوازعها , تدين بالإجرام وبالإجرام فقط , فمنذ أول جريمة عرفت البشرية حسب ما مدون في موروثها كانت بين البشر عندما كان عددهم ستة , والستة من دين واحد وذوي قرابة جينية قوية , لكن الجريمة عندما حصلت بقتل قابيل لأخيه هابيل , أوجد قابيل له دينا هو الإجرام الذي أضفى عليه ما يبرر ويعزز قيامه بجريمة القتل لأخيه الأمانة بالسوء , التي تفقت في دنياه وتأججت بفعل رغباته ونزواته وتطلعاته الغريزية المتدفقة , التي أذهبت حكمته وشوشت بصيرته.

وهذا المنطق ينطبق على أية جريمة حصلت وتحصل منذ ذلك اليوم الأليم , وهو المنطلق الإجرامي الدائم التدفق والإنصاف في نفوس المجرمين أجمعين.

ومن المعروف في علم الإجرام أن المجرم يجرّد شخصيته من حقها في الحياة , ويحسبها تستحق الموت ويراكم المسوغات الكفيلة بقتلها , وعادة ما يربط ذلك بإرادة قوة عليا أو معتقد حقق فيه طاقات إنفعالية , ذات قدرات عميالية وتصنّدية وتمترسية في غياهب أو هامها وضلالاتها العدوانية , فيندفع نحو جريمته بقوة وقناعة , وحتى بعد أن يقترف فعلته , تراه يدافع عن نفسه ويتهم الضحية بأنها هي

لابد من مؤازرة الروح الطيبة
الرحيمة في الدين , والتعامل
مع المجرمين وفقا لما تقرره
الأعراف والتقاليد , والقوانين
الفاعلة في الحياة ومنذ عصور
ما قبل التاريخ وحتى اليوم

لا توجد جريمة بلا دين , فكل
جريمة تؤمن وتعتقد وتدين
بالإجرام , ولا دين عندها إلا
الإجرام , ولا يمكن ربط
الجريمة بدين غير الإجرام

الجريمة مهما كان نوعها
وطبيعتها ونوازعها , تدين
بالإجرام وبالإجرام فقط

الجريمة عندما حصلت بقتل
قابيل لأخيه هابيل , أوجد قابيل
له دينا هو الإجرام الذي
أضفى عليه ما يبرر ويعزز
قيامه بجريمة القتل لأخيه

علمنا هولاءكو ومن سار على
معتقداتهم من قبله , ومن
إتخذوا طريقه سبيلا لتبرير
جرائمهم الكبرى ضد
الإنسانية والأخوة الآدمية
السمعاء

قد كان هولاءكو يبرر ما يقوم
به من شنائع وفظائع بأنها
تعبير عن إرادة الرب الذي
سلطه على رقاب الناس

التي دفعته لقتلها وبأنها تستحق العقاب لا هو .

فعلها هولاءكو ومن سار على معتقداتهم من قبله , ومن إتخذوا طريقه سبيلا لتبرير جرائمهم الكبرى ضد الإنسانية والأخوة الأدمية السحاء , وقد كان هولاءكو يبزر ما يقوم به من شنائع وفظائع بأنها تعبير عن إرادة الرب الذي سلطه على رقاب الناس ومصائرهم لينفذ حكمه فيهم .

وجرائم القتل بأنواعها سواء قتل النفس أو قتل النفس والآخر أو قتل الآخرين , لا يمكنها أن تحصل إلا عندما يتم في وعي المجرم أن الهدف يستحق القيام بما سيقوم به من الإجرام , وأسهل السبل التي يميل إليها المجرم , هو أن يدعي معتقدا ما أو دينا معينا أو إنتماء ما يؤهله ويتوافق مع ما فيه من النوازع الإجرامية المتأججة في دنياه , فتراه يميل للتطرف والانحراف والإنتماء لأحزاب وجماعات تساهم بتعزيز نوازعه الإجرامية , وتضفي عليها معاني أخرى توهلها للإنفلات .

تواصل ذلك على مدى التأريخ البشري , وقد بقيت هذه السلوكيات الإجرامية قائمة في الأديان والمعتقدات الأرضية , ولا يوجد دين أو معتقد أو حزب بريئ من إستخدامه لتبرير الإجرام , وإنما جميعها وبلا إستثناء بإسمها أرتكبت جرائم بشعة وشنيعه , وأي دين أو حزب يدعي غير ذلك عليه أن يرمي الآخرين بحجر .

إن الأديان والمعتقدات والأحزاب والإنتماءات الأخرى يمكن إمتطاؤها للقيام بأبشع ما يمكن القيام به من الفظائع البشرية .

حصل ذلك في أوربا وأمريكا في القرون السابقة وحتى القرن التاسع عشر , وفي القرن العشرين أكده ما جرى في ألمانيا وأوربا والصين والإتحاد السوفياتي سابقا , وغيرها من الدول والمجتمعات , والفرق القائم اليوم هو أن قدرات التواصل الإجتماعي في عصرنا ذات إمكانيات فائقة على نقل ما يحدث في أي مكان بأسرع من البرق , حتى ليتوهم الناس بأن الدنيا على شفا جحيم ومضطرب لا مثل له من قبل .

فعلينا أن ننتيقظ وننتبه ونعي الواقع والوقائع , ونقرؤها بعيون عقلانية علمية بحثية مجردة من الإنفعالات والتأجيج العاطفي , المحسوب والمطلوب لتحقيق أغراض ونوايا خطيرة كامنة في نفوس مريضة ساعية لجحيمات الضياع والخراب المقيم .

فالإجرام عالم قائم بذاته ولا يمكن إقرانه بدين , وإنما يجب أن يُحاسب المجرم وفقا للقانون , ومن الظلم أن يؤخذ الآخرون بجريته وإثمه , ومن الواجب أن تُدرس الأسباب المؤدية للجريمة وتبتكر الحلول والمقترحات اللازمة لمنع تكرارها , ووقاية الأجيال من أضرارها وتأثيراتها الضارة بالمجتمع .

وعلينا أن نتذكر دائما أن دين المجرمين هو الإجرام , وإدعاء المجرم بأي دين آخر جريمة كبرى ضد ذلك الدين!

إرتباط كامل النص:

<http://www.arabpsynet.com/Samarrai/DocSamarraiWaMaSawahaa217-121118.pdf>

ومصائرهم لينفذ حكمه فيهم

جرائم القتل بأنواعها سواء قتل النفس أو قتل النفس والآخر أو قتل الآخرين , لا يمكنها أن تحصل إلا عندما يتم في وعي المجرم أن الهدف يستحق القيام بما سيقوم به من الإجرام

لا يوجد دين أو معتقد أو حزب بريئ من إستخدامه لتبرير الإجرام , وإنما جميعها وبلا إستثناء بإسمها أرتكبت جرائم بشعة وشنيعه

علينا أن ننتيقظ وننتبه ونعي الواقع والوقائع , ونقرؤها بعيون عقلانية علمية بحثية مجردة من الإنفعالات والتأجيج العاطفي

الإجرام عالم قائم بذاته ولا يمكن إقرانه بدين , وإنما يجب أن يُحاسب المجرم وفقا للقانون , ومن الظلم أن يؤخذ الآخرون بجريته وإثمه

علينا أن نتذكر دائما أن دين المجرمين هو الإجرام , وإدعاء المجرم بأي دين آخر جريمة كبرى ضد ذلك الدين!!



شبكة علوم النفس العربية

نحو لياقة نفسانية أفضل

مؤسسة العلوم النفسية العربية

معا ... نذهب أبعد